

## السعوديّة تستوعب مُخاطر الدّرس الإيراني وتحرك لامتصاص الاحتقان الشعبيّ قبل انفجارٍ..

صَرْفً 52 ملياري ريال لمُوظّفي الدّولة والمُتقاعدين هل يُحقّق أغراضه؟ وماذا يَعني اعتقال 11 أميرًا تَمَظَّلُوا أمام قَصر الحُكم في الرّيَاض احتجاجًا؟ وهل بدأ "التّململ" على أعلى المُستويات

عبد الباري عطوان

لم يَكُن مُفاجئًا، أو من قبيل الصّدفة، أن تتزامن قرارات العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز بإنفاق 52 مليار ريال سعودي لأكثر من مليون ومئتي ألف مُوظّف في الدّولة، ومثل هذا العدد من المُتقاعدين كبدل غلاء المعيشة، مع المُظاهرات المُندلعة مُنذ عشرة أيام تقريبًا في أكثر من 70 مدينة وبلدۀ إيرانية، احتجاجًا على غلاء المعيشة وإنفاق الحكومة الإيرانية مليارات الدولارات دَعمًا لحرّكات سياسية في اليمن ولبنان وسوريا وقطاع غزة، فلا بد أنّه، أي العاهل السعودي، أراد أن يُقدّم على هذه "الخطوة الاستباقية"، لتجنيب بلاده احتجاجات مُماثلة، خاصةً بعد ظُهور مُؤشرات كثيرة في هذا الصّدد على وسائل التواصل الاجتماعي تُؤكّد أن الانفجار باتَ وشيكًا، ووجود "بعض" التّشابه في الحالتين الإيرانية والسعوية.

العاشر السعودي الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز أقدمَ على الخطوة ذاتها عام 2011 لتحسين مملكته من "ثورات الربيع العربي" التي اندلعت في خمس دولٍ عربية هي (مصر، سوريا، اليمن، تونس، ليبيا)، حيث أنفق 120 مليار دولار كمساعدات مالية عاجلة، وإلغاء قروض إسكان، ودعم الشباب، والعاطلين عن العمل، ومساعدة المنحة الدراسية في الخارج، ونَجحت هذه الخطوة في امتصاص الذّمة، وتَهدئة الشّارع السعوديّ، ومنع انفجارٍ.

الاحتجاجات الإيرانية التي بدأت في مدينة مشهد، ثاني أكبر مدن في البلاد، انفجرت بسبب ارتفاع سعر البيض، وغلاء المعيشة بشكلٍ عام، وتَطّورت إلى المطالبة باستقالة الرئيس الإصلاحي حسن روحاني، لفشلها في تنفيذ الوعود بتحقيق الرّخاء ومحاربة الفقر والفساد، ووقف سياسة ضَخ

المليارات في لبنان وسوريا واليمن وقطاع غزة، وكان من الممكن أن يؤدي قرار الحكومة السعودية برفع سعر البنزين، وفرض ضريبة القيمة المضافة ابتداءً من أوائل العام الجديد إلى احتجاجاتٍ مُماثلة بالنظر إلى حالة التدمير التي سببّتها في أوساط المواطنين، وانعكست في "هاشتاغاتٍ" على وسائل التواصل الاجتماعي، أبرزها "الرّاتب لا يكفي".

\*\*\*

ما زال من المبكر التكهّن بالآثار المُتوّعة لهذه القرارات السعودية على المواطنين، وقدرتها على امتصاص حالة الاحتقان الراهن، ولكن ما يمكن قوله في هذه العجلة، أنّها أحدثت بعض النتائج الإيجابية، وأثارت حالةً من الارتياح على المدى القصير، وامتصّت بعض الاحتقان ولو مؤقتاً، ولكن يجب التذكير أن سقفها الزّمني عام واحد فقط، أي أنّها مؤقتة، وليس دائمة، إلا إذا جرى تمديدها بعد نهاية العام الحالي، وهذه مسألة تحتاج إلى ميزانيات، ودخول إضافية لميزانية الدولة التي تعاني من عجوزاتٍ ضخمة طوال السنوات الثلاث الماضية، ويبلغ عجز ميزانية العام الحالي 200 مليار ريال، ومن المُتوقع أن يرتفع في ظل مبالغ التعويضات الحالية غير المحسوبة والطارئة.

من المُؤكد أن صانع القرار السعودي توصل إلى معلوماتٍ مُؤكدة من "العسس" و"البعاصين" بوجود "تململ" شعبي من جراء غلاء المعيشة، وبعض جوانب السياسات الخارجية المكلفة جداً مالياً وبشرياً، وأبرزها صدّع عشرات المليارات في حروب خارجية مثل الحربين في سوريا واليمن، وتقدّيم مساعدات مالية بأكثر من ثلاثين مليار دولار لمصر وحدها، ناهيك عن تكاليف حرب اليمن التي تُشكّل إكمال عاها الثالث، والإعلام السعودي الذي احتفى بمطالب المحتاجين الإيرانيين بوقف تدخلات حكومتهم وحرسها الثوري في حروب سوريا واليمن وغزة، نسي أن حكومة بلاده تُنفق عشرة أضعاف ما أنفقته إيران في الحروب نفسها في البلدين نفسها، باستثناء دعم المقاومة في قطاع غزة. إنفاق 52 مليار ريال (الدولار يساوي 3.7)، لتعويض الشعب السعودي عن حالة غلاء المعيشة، وتحفيض معاشاته، حسب تغريدة للسيد سعود القحطاني، المستشار السياسي والإعلامي للديوان الملكي، يَظل مَبلغًا مُتواضعًا بالنسبة لنظيره الذي أنفقه العاهل الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز، مع الاعتراف بأن خط الاخير كان أفضل، لوجود احتياطات مالية للمملكة في عهده تزيد عن 800 مليار دولار، ووصل أسعار برميل النفط إلى 120 دولاراً للبرميل، فالمُشكلة الأساسية التي أدّت إلى غلاء المعيشة هي سياسات الحكومة في رفع الدعم عن المحروقات والسلع الأساسية الأخرى مثل الماء والكهرباء، وفرض ضريبة القيمة المضافة لأول مرّة في تاريخ المملكة، وزيادة ضخمة في رسوم المُعاملات الحكومية وتكليف السفر والمصارف الخفية الأخرى، وإذا لم يتم التّعاطي مع المرض الأساسي، وليس أعراضه الجانبية فقط، فإنّ خطر الاحتجاج سيظل قائماً إن لم يكُن هذا العام، فالأعوام المُقبلة.

العاـلـهـ الـسـعـودـيـ الـذـيـ يـحتـفـلـ هـذـهـ الـأـيـامـ بـإـكـمالـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ لـتـولـيـهـ الـعـرـشـ،ـ أـقـدـمـ عـلـىـ إـجـراءـ تـغـيـيرـاتـ هـيـكـلـيـّـةـ اـقـتـصـادـيـّـةـ وـسـيـاسـيـّـةـ وـعـسـكـرـيـّـةـ ضـخـمـةـ،ـ أـبـرـزـهـ إـطـاحـهـ وـلـيـنـ لـلـعـهـدـ،ـ وـتـكـرـيـسـ وـرـاثـهـ الـحـكـمـ عـمـودـيـّـاـ فـيـ أـسـرـتـهـ بـتـعـيـيـنـهـ الـأـمـيـرـ مـحـمـدـ وـلـيـّـاـ لـلـعـهـدـ،ـ وـإـقـدـامـ الـأـخـيـرـ عـلـىـ إـجـراءـاتـ تـحـديـنـيـّـةـ غـيـرـ مـسـبـوـقـةـ،ـ مـثـلـ السـمـاحـ لـلـمـرـأـةـ بـقـيـادـةـ الـسـيـارـةـ،ـ وـدـخـولـهـاـ قـطـاعـ الـوـطـائـفـ،ـ وـوـضـعـ "ـرـؤـيـّـةـ"ـ اـقـتـصـادـيـّـةـ طـوـيـلـةـ الـأـمـدـ تـقـلـلـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ النـفـطـ كـمـصـدـرـ وـحـيدـ لـلـدـخـلـ،ـ وـتـنـصـصـ مـأـصـولـ الدـوـلـةـ الـاـسـتـرـاتـيـجـيـّـةـ،ـ مـثـلـ شـرـكـةـ أـرـامـكـوـ،ـ وـلـكـنـّـهـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ،ـ أـضـعـفـ مـؤـسـسـاتـ الـدـوـلـةـ الـأـسـاسـيـّـةـ مـثـلـ الـمـؤـسـسـةـ الـدـيـنـيـّـةـ،ـ وـمـؤـسـسـةـ الـأـسـرـةـ الـحـاكـمـةـ،ـ مـثـلـمـاـ أـضـعـفـ "ـالـدـوـلـةـ الـرـيعـيـّـةـ"ـ أوـ State Welfareـ،ـ الـتـيـ تـُوـفـرـ الـرـخـاءـ وـالـاسـتـقـرـارـ لـلـمـوـاطـنـ مـُـقـابـلـ تـرـكـهـ شـُـؤـونـ الـحـكـمـ لـلـأـسـرـةـ الـحـاكـمـةـ،ـ وـعـدـمـ الـمـطـالـبـةـ بـقـيـامـ أيـ مـؤـسـسـاتـ تـشـرـيـعـيـّـةـ أوـ رـقـابـةـ.

الـأـمـيـرـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـمـانـ،ـ وـلـيـ الـعـهـدـ اـتـّـبعـ سـيـاسـةـ "ـالـصـدـمـةـ"ـ فـيـ إـدـارـةـ شـُـؤـونـ الـدـوـلـةـ،ـ وـإـطـاحـهـ بـكـلـ مـُـنـاـفـسـيـهـ،ـ مـثـلـ أـمـرـاءـ الصـفـفـ الـأـوـلـ (ـمـحـمـدـ بـنـ نـاـيـفـ،ـ وـمـتـعـبـ بـنـ عـبـدـ اـهـ،ـ الـوـلـيدـ بـنـ طـلـالـ)،ـ وـمـرـّـتـ قـرـاراتـ الـإـطـاحـةـ هـذـهـ دـوـنـ أـيـ مـشـاـكـلـ حـقـيقـيـّـةـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ شـجـعـهـ عـلـىـ اـعـتـقـالـ أـكـثـرـ مـنـ 11ـ أـمـيـرـاـ وـمـئـتـيـنـ مـنـ كـبـارـ رـجـالـ الـأـعـمـالـ بـتـهـمـ الـفـسـادـ،ـ وـلـكـنـ أـعـرـاضـ "ـالـيـوـمـ التـالـيـ"ـ بـدـأـتـ فـيـ الـظـهـورـ تـبـاءـعـاـ.

\*\*\*

مـفـعـولـ "ـالـصـدـمـةـ"ـ بـدـأـ يـتـآـكـلـ فـيـ رـأـيـ الـكـثـيـرـيـنـ دـاـخـلـ الـمـمـلـكـةـ وـخـارـجـهـاـ،ـ وـبـشـكـلـ أـسـعـ مـنـ الـمـتـوـقـعـ،ـ فـاعـتـقـالـاتـ الـأـمـرـاءـ وـرـجـالـ الـأـعـمـالـ الـكـبـارـ بـدـأـتـ تـعـطـيـ بـعـضـ النـتـائـجـ الـعـكـسـيـّـةـ عـلـىـ سـُـمـعـةـ الـمـمـلـكـةـ وـهـيـبـتهاـ وـاسـتـقـرـارـهاـ الـاـقـتـصـادـيـ وـالـسـيـاسـيـ،ـ رـغـمـ الشـعـبـيـّـةـ الـكـبـيرـةـ الـتـيـ حـاطـيـتـ بـهـاـ فـيـ أـوـسـاطـ الشـبـابـ،ـ خـاصـّـةـ أـنـ بـعـضـهـاـ لـمـ يـكـنـ مـَدـرـوسـاـ "ـبـشـكـلـ مـُـعـمـقـ"ـ،ـ وـالـإـفـرـاجـ عـنـ إـبـراهـيمـ الـعـسـافـ،ـ وـزـيـرـ الـدـوـلـةـ الـحـالـيـ وـالـمـالـيـّـةـ الـسـابـقـ بـعـدـ اـعـتـقـالـهـ بـتـهـمـ الـفـسـادـ وـعـوـدـتـهـ إـلـىـ مـقـعـدـهـ الـوـزـارـيـ،ـ أـثـارـتـ الـعـدـيدـ مـنـ عـلـامـاتـ الـاسـتـفـهـامـ،ـ كـمـ أـنـ الـاعـتـرـاـضـاتـ مـنـ بـعـضـ الـدـوـلـ وـالـفـرـقـيـّـةـ عـلـىـ اـحـتـجازـ أـمـرـاءـ وـشـخـصـيـّـاتـ مـثـلـ سـعـدـ الـحـرـيـريـ،ـ وـالـوـلـيدـ بـنـ طـلـالـ،ـ وـصـبـحـ الـمـصـرـيـ،ـ أـحـرـجـ نـظـامـ الـحـكـمـ فـيـ الـمـمـلـكـةـ،ـ وـكـاـشـفـتـ عـنـ سـوءـ تـقـدـيرـهـ،ـ إـلـىـ جـازـبـ تـسـرـّعـهـ.

اعـتـقـالـ الـأـمـنـ الـسـعـودـيـ لـأـكـثـرـ مـنـ 11ـ أـمـيـرـاـ،ـ اـحـتـجـّـواـ أـمـامـ قـصـرـ الـحـكـمـ فـيـ الـرـيـاضـ الـيـوـمـ (ـالـسـبـتـ)ـ لـأـسـبـابـ مـاـ زـالـتـ غـامـضـةـ،ـ وـالـزـّـجـ بـهـمـ فـيـ سـجـنـ الـحـائـرـ تـَطـوـرـ خـطـيـرـ،ـ وـرـسـالـةـ وـاـضـحـةـ تـُـفـيـدـ بـأـنـ حـالـةـ "ـالـتـمـلـمـلـ"ـ وـصـلـتـ إـلـىـ الـأـسـرـةـ الـحـاكـمـةـ،ـ أـوـ بـعـضـ أـمـرـائـهـاـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ "ـصـحـوةـ"ـ وـ"ـتـَحـرـكـ"ـ مـَدـرـوسـ لـمـوـاجـهـهـ هـذـهـ الـطـاـهـرـةـ وـتـَطـوـيـقـهـاـ قـبـلـ أـنـ تـتـحـوـلـ إـلـىـ كـُـتـلـةـ ثـلـجـ تـتـدـرـجـ وـتـتـضـخـمـ وـيـمـصـعـبـ وـقـفـهـاـ.

الـقـرـارـاتـ الـمـلـكـيـّـةـ الـسـعـودـيـّـةـ بـصـارـفـ مـعـونـاتـ عـاجـلـةـ لـلـمـوـظـفـينـ لـتـعـوـيـضـهـمـ عـنـ آـثـارـ الـغـلـاءـ الـمـعـيـشـيـّـ الـسـلـبـيـّـةـ،ـ خـُـطـوـةـ جـيـدةـ،ـ وـلـكـنـ مـفـعـولـهـاـ يـَظـلـ مـُـؤـقـّـتـاـ،ـ وـقـدـ تـتـبـخـرـ بـسـرـعـةـ إـذـاـ لـمـ تـتـبعـهـاـ خـَـطـوـاتـ،ـ وـحـلـولـ جـَـذـرـيـّـةـ سـرـيـعـةـ،ـ أـبـرـزـهـاـ الـإـلـاصـاحـ الـسـيـاسـيـّـ وـمـُـكـافـحةـ حـقـيقـيـّـةـ لـلـفـسـادـ،ـ وـإـشـراكـ

المُواطن في إدارة شُؤون بلاده بشكل أكثر جدّية، وأجراء مراجعة معمقة في بعض سياسات المملكة الداخليّة والخارجيّة بشفافية حقيقية، والاستفادة من تجربة دول الجوار، وعلى رأسها التجربة الإيرانية قبل فوات الأوان.